الأدلة على وجود الله وظهوره

د. سهيل مدانات

المحتوى

كلمة شكر		٧
مقدِّمة الكتاب		٩
السؤال		١٣

الجزء الأوَّل: النظرات الكونيَّة

مقدِّمة	مفهوم النظرة الكونيَّة	٢٣
الفصل الأوَّل	وثنيَّةُ مِصْر وما بين النهرَين	٣٣
الفصل الثاني	وثنيَّةُ أفريقيا، أو حيويَّة الجماد	٤١
الفصل الثالث	الهندوسيَّة	٤٥
الفصل الرابع	البوذيَّة	٥٧
الفصل الخامس	الفلسفات اليونانيَّة	٦٣
الفصل السادس	المسيحيَّة	٨٩
الفصل السابع	نحو الإلحاد: (١) العصور الوسطى وعصر النهضة	١٠٣
الفصل الثامن	نحو الإلحاد: (٢) عصر التنوير والحداثة	١١٩
الفصل التاسع	نحو الإلحاد: (٣) ما بعد الحداثة	١٥١
الفصل العاشر	فحصُ النظرات الكونيَّة ومقارنتها	١٥٧

الجزء الثاني: الأدلَّةُ على وجود الله

مقدِّمة	طبيعة الأدلَّة	١٩٩
الفصل الأوَّل	الدليل الكَونيّ	٢٠١
الفصل الثاني	الدليل التصميميّ	٢١٩
الفصل الثالث	الدليل العقليّ	٢٩٩
الفصل الرابع	الدليل الأخلاقيّ	٣١٧
الفصل الخامس	دليل المعجزات	٣٢٣
الفصل السادس	أخيرًا ...	٣٢٩

الجزء الثالث: الأدلَّة على ظهور الله في المسيح

مقدِّمة	التسلسل المنطقيُّ للأدلَّة وموضوعيَّتها	٣٣٥
الفصل الأوَّل	أصالة الكتاب المقدَّس	٣٤٥
الفصل الثاني	صحَّة المخطوطات الأصليَّة كشهادة عِيان-هُوِيَّة كُتَّابها وزمن كتابتها	٣٥٧
الفصل الثالث	استحالةُ التزويرِ وتسرُّبِ الأساطير	٣٦٧
الفصل الرابع	عددُ الشهود وأهليَّتُهم ومعايَنتُهم للحدث	٣٧٣
الفصل الخامس	ذاكرةُ الشهود	٣٨٥
الفصل السادس	مصداقيَّةُ الشهود وعفويَّتُهم وبساطةُ سرْدِهم	٣٩١
الفصل السابع	التحقُّق العلميّ- لوقا	٤٠١
الفصل الثامن	اعتراف الشهود الأعداء	٤٠٧
الفصل التاسع	توافُقُ الشهادات ونقاءُ النصّ	٤١٥
الفصل العاشر	دماء الشهداء	٤٢٧
الفصل الحادي عشر	القبر الفارغ وظهورات المسيح	٤٣٣
الفصل الثاني عشر	سقوط النظريَّات البديلة للقيامة	٤٤١
الفصل الثالث عشر	صحَّة النبوَّات	٤٤٩
الفصل الرابع عشر	الأدلَّة الخارجيَّة على وجودِ المسيح وصلْبِه وخبرِ قيامته	٤٥٧
الفصل الخامس عشر	الأدلَّة الظرفيَّة- منشأ المسيحيَّة	٤٧٣
الفصل السادس عشر	الأدلَّة الظرفيَّة- أثر المسيحيَّة في الحضارة البشريَّة	٤٧٧
الفصل السابع عشر	دليل الآثار	٤٩٣
الفصل الثامن عشر	ظهورات اليوم	٥٢٧
الخاتمة	الجواب	٥٢٩
قائمة المراجع		٥٣٣
عن المؤلِّف		٥٤٣

مقدِّمة الكتاب

هذا الكتاب موجَّهٌ إلى فئتَين، ويستثني ثالثة.

الفئة الأولى هي المؤمنون. والهدف المنشود هو طرْدُ أيِّ ظلِّ شكٍّ في صحَّة إيمانهم قد يُراوِدُ عقولَهم، سواء كان مصدرُ التشكيك نظريَّاتٍ فلسفيَّة، أمِ ادِّعاءاتٍ علميَّة، أم ما يَظهَر أنَّه تَناقُضُ الإيمان بصلاحِ الله مع الاختبار الفعليِّ للمؤمن من ألمِ العناء وصمْتِ السماء. الهدف المنشود هو امتلاكُ المؤمن يقينًا مطلَقًا، ١٠٠٪، لا يراوده أيُّ شكّ، لأنَّ الشكَّ، مهما كان ضئيلًا أو نائمًا، يستيقظ ويكبر عند المحكّ، كتهديدِ خطرٍ أو مَوت، ويؤَرِّقُ صاحبَه عندما يكون في أشدِّ الحاجة إلى إيمانٍ راسخٍ وإيقانٍ كامل. أغلب المؤمنين يبنون إيمانَهم على اختبارٍ شخصيٍّ وحبٍّ قلبيّ، وهذا صحيحٌ صحيح، ولكنَّه، دون أساسٍ فكريٍّ موضوعيّ، ربَّما يهتزُّ متى أرهقَتِ القلبَ آلام، وأرَّقَتِ الفكرَ أوهام. فأيَّةُ فجوةٍ في يقين المؤمن قد تتوسَّع وتُدمِّر، كثغرةٍ في جسمِ سدّ. لا يستطيع المؤمن أن يحيا حياةَ سلامٍ وفرحٍ كامل- حياةً تُرضي الله تمامًا، إذا ساورَ إيمانَه شكٌّ سكت عليه فأهملَه، أو استسلمَ له فقَبِلَه:

وَلَكِنْ بِدونِ إيمانٍ لا يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذي يَأْتي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجودٌ، وَأَنَّهُ يُجازي الَّذينَ يَطْلُبونَهُ (العبرانيِّين ١١: ٦).

لقد أصبحَ تبريرُ الشكِّ وتطبيعه في الوسَط العلميِّ والفكريِّ علامةً على الرقيِّ الفكريِّ والعُمق الفلسفيِّ والموضوعيَّة العلميَّة، يتباهى بها فريسةُ الشكِّ المسكين. فقد سادَتِ الغربَ في عصر التنوير والحداثة، ولا سيَّما بعد إيمانويل كانْت، قناعةٌ راسخةٌ باستحالةِ وصولك إلى معرفةٍ يقينيَّةٍ في الأمور الغَيبيَّة لغياب دليلٍ ملموسٍ محسوس، فتُقرِّر أن تقبلَها بإيمانٍ قلبيّ، لا بيقينٍ عقليٍّ أيضًا. وقد أثَّر هذا المفهوم في كثيرين من رجالِ الفكر المسيحيِّين وأساتذة كلِّيَّات اللاهوت في الغرب، فاستعاضوا عن مفهوم اليقين الفكريِّ الموضوعيِّ (certainty) بمفهوم التيقُّن الروحيِّ القلبيِّ الشخصيّ (certitude).

لكنَّ الاثنين مطلوبان. فاللَّه يدعو المؤمن في الوصيَّة الأولى والعظمى أن يحبَّه ليس فقط من كلِّ القلب، بل أيضًا من كلِّ الفكر، أيْ حبًّا كاملًا شاملًا، من كلِّ الكِيان:

تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعُظْمَى (متَّى ٢٢: ٣٧).

يعملُ القلبُ والفكرُ إذًا بتكامُل، كما صمَّمَهما الخالق الحكيم: تتزعزع مشاعر القلب وتتبدَّل إذ يضيق الاختبار، فيأتي الفكرُ العارفُ المستنيرُ ليكونَ سندًا معرفيًّا موضوعيًّا راسخًا. ويضيق الفكر أمام تحدٍّ مشكِّك، فيأتي القلبُ المحبُّ الوفيُّ ليكونَ سندًا إيمانيًّا للعقل العاجز إلى أن يأتيَ الجوابُ اليقين. في الحالتَين، يبقى تأكيدُ شهادةِ روح الله في داخل المؤمن هو الأساس، عاملًا في القلب والفكر معًا:

الرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنا أَنَّنَا أَوْلادُ اللهِ (رومية ٨: ١٦).

غاية هذا الحبِّ الكامل الشامل، من كلِّ القلب ومن كلِّ النفس ومن كلِّ الفكر، هي يقينٌ تامٌّ، ١٠٠٪، يقينٌ قلبيٌّ وموضوعيٌّ لا يتزعزع، إيمانٌ يرى كما لو بالعِيان ... إيمانٌ وحدَه يُمتِّعُ مالكَه بغمرِ السلام، وفرحِ الانتصار، وقوَّةِ الانطلاق، وعزمِ الثَّبات، وسلوكِ النقاء، وشوقِ الرجاء:

كُنْتُ أَرَى الرَّبَّ أَمامي في كُلِّ حينٍ، أَنَّهُ عَنْ يَميني، لِكَيْ لا أَتَزَعْزَعَ (أعمال ٢: ٢٥).

لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صادِقٍ في يَقينِ الْإِيمان (عبرانيِّين ١٠: ١٢).

أمَّا الفئة الثانية فتضمُّ كلَّ باحثٍ عن الحقِّ لأجل الحقّ، بعقلٍ مفتوحٍ وقلبٍ مشغوف. هي تضمُّ كلَّ مسافرٍ في دربِ الحياة أدركَ قِصَرَ الطريق وسرعةَ المسير وهَوْلَ المصير، وأتعبَتْه كثرةُ المفارق وحيَّرته ادِّعاءاتها ودعواتها. هذا الكتاب يُسَهِّل البحث إذ يستعرض الخِيارات المختلفة للنظرات الكونيَّة منذ فجر التاريخ إلى الآن ويحلِّلها، مقارنًا ما بينها بموضوعيَّة، وناقدًا بوداعةِ الحرصِ على احترام أصحابها، ومقدِّمًا للإيمان المسيحيِّ أدلَّةً محسوسة، لا ادِّعاءاتٍ محمومة:

وَأَمَّا خَوْفَهُمْ فَلا تَخافوهُ وَلا تَضْطَرِبوا، بَلْ قَدِّسُوا الرَّبَّ الْإِلَهَ في قُلوبِكُمْ، مُسْتَعِدِّينَ دائِمًا لِمُجاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجاءِ الَّذي فيكُمْ بِوَداعَةٍ وَخَوْفٍ (١ بطرس ٣: ١٥).

لكنَّ هذا الكتاب يستثني كلَّ مَن حزَمَ أمرَه مسبَّقًا وجزَم، فأغلق بوَّابةَ العقل وأوصدَ نافذةَ القلب. يخبرنا التاريخ بأنَّ شخصًا كهذا لا تُقنعه كلُّ حججِ المنطق ولا تكفيه كلُّ أدلَّة الحقّ، حتَّى لو نزلَ الحقُّ متجسِّدًا أمامه فرآه بعَينَيه وسمعه بأذنَيه ولمسه بيدَيه، تمامًا كما حصل قبل ألفَي عام.

تنويه لا بدَّ منه في البداية: مع كلِّ محاوَلتي الشرح والتبسيط قدر الإمكان، فإنَّ القارئ، وتِبعًا لخلفيَّته المعرفيَّة، قد يجد في أجزاءٍ قصيرةٍ محدودةٍ من محتويات الكتاب بعضَ الصعوبة، فلسفيًّا في الجزء الأوَّل، وعلميًّا في الجزء الثاني. عبورُه عليها بسرعة، مع التركيز على عباراتٍ مُلخِّصةٍ تتخلَّل هذه الأجزاء أو تختمها، كفيلٌ بإيصال الفكرة المنشودة.

أخيرًا، هدفُ هذا الكتاب ليس إرساءَ دعائمِ مذهبٍ أو دين، فالحقُّ مرساةٌ لنفسه وهو يدافع عن نفسه، وفي النهاية لا يَصِحُّ إلَّا الصحيح. هدفُ هذا الكتاب، بكلِّ ما كَلَّف من وقتٍ وجهدٍ ومال، هو أنت ... نفسُك الغالية. الهدفُ النهائيُّ هو أن تحيا حياتك إلى الملء، وتحياها إلى الأبد، كما أرادها لك خالقك المحِبّ، في سلامٍ هُنا، وفي مجدٍ هُناك.